فى الدين

تفسير البسملة فى سورة يس

للأستاذ المحقق الشيخ طنطاوى الجوهرى

اعلم أن العوالم التى نعيش فيها تجرى على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لايتغير ، وذلك أنك ترى اليوم يولد بشروق الشمس ويظهر ضحى ويشتد وقت الزوال ويضعف وقت العصر وينتهى وقت الغروب. هكذا السنة فلها ولادة إذا حل الربيع ونزلت الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب فى الأرض وذاب الثلج ودبت الحشرات وأنبعثت من مراقدها ونمت الزروع من تومتها وسمت الحيات لحياتها وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحدائق وأخذت الأرض زخرفها وازينت .

فأذا حلت الشمس برج السرطان فهناك يأخذ النهار فى القصر والليل فى الطول وتضج النهار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تكلأ أبناءها وتحفظ صغارها وتعطف عليهم وهم مبتهجون . فاذا جاء فصل الخريف وحلت الشمس فى برج الميزان فهناك يعتدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار فى القصر والليل فى الطول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هرمة ولى شبابها وأدبرت أيامها وساءت حالها فأذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس فى برج الجدى فهناك تضمحل الحيات فى أوكارها وتتوارى الحشرات فى بيوتها وتقف الحركات وتحيم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بجثة هامدة لاحراك لها وهكذا تبقى حتى إذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء » فهذا نفسه هو حكم الانسان فهو فى أول حياته كاليوم إذا أشرقت الشمس وهو فى شبابه كالشمس فى ضحاها نهارا وفى استوائه رجلا كاملا كالشمس إذا توسطت كبد السماء وكان الزوال فأذا أدبر شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس إذا آذنت بالغيب وفارقت أهل الأرض وهم لها راقبون وهكذ

صباه أشبه بفصل الربيع وفتوته واستواؤه رجلا أشبه بوقت الزوال فأذا ولى زمانه وشابت مفارقه وانحلت مفاصله واصفر لونه كان أشبه بالسنة إذا حل فصل الخريف وأخذت تنحل عراها وتضعف قواها فأذا ماحل فى الرمس وودعوه كالأمس كان كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك الأمم : -

١ - فلها ولادة كولادة الانسان تبدأ فيها بقراءة تواريخ الأمم ودراسة الآثار وتضرب الأمثال كالطفل إذا ابتدأ يفتح عينيه فأنه إذ ذاك يأخذ ليبحث فيما حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالا ينسج عليه وسبيلا ينهجه

٢ - ولها أيام فتوة وقوة وعظمة إذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيمتها كالانسان أيام فتوته وتمام رجولته وكالسنة فى فصل الصيف

٣ - ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة إلى الغروب فى كل يوم وكالشمس تدخل فى برج الميزان ويأخذ النهار فى القصر والليل فى الزيادة

٤ - وأيام موت كموت الانسان وإقبال الليل وحلول فصل الشتاء .

إذا عرفت هذا فلتعلم أن الأمم كانت أيام النبوة قد اعتراها خمول وضعف كخمول الجنين وموتها أيام الشتاء فلما أن ظهر الاسلام ثارت العزائم وانتشر العمران وماجت الأرض وماجت وانبعثت المدنية فيها كرة أخرى إذ تدهورت المدنيات القديمة فى الفرس والرومان وحلت محلها مدنيات حديثة وأخذ العرب الذين كانوا مبعثرين فى الصحراء لاجامعة لهم يستخرجون العلوم من مكامنها ويدرسون تواريخ الأمم ويقرءون علومها شأن الصبى أيام طفولته والحيوانات فى فصل الربيع إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أحجارها كأنها مبعوثة من أجداثها منتشرة فى الأرض تسعى حثيثا للحياة . فلما استقر قرار الأمم الاسلامية فى أواخر القرن الثانى وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستثمرون ما زرعوا ويحصدون ما أنبتت لهم مدنيتهم أيام الدولة الأموية فوقفوا الفتوحات قرونا وقرونا حتى إذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة فى فصل الخريف أخذت أمم التتار تكتسح هذه الأمم فرجع المسلمون أشبه بفصل الشتاء فى السنة والانسان إذا مات بالنهار إذا أدبر والليل إذا أقبل .

وها هى ذه الأمم الاسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها فى برج الحمل وها هم أولاء يبحثون فى كتب الأمم ويقرءون تاريخها شأن الطفل أيام طفولته . وأمثال هذا التفسير قد ظهر اليوم فى إبان صبا الاسلام بعد نوم الأمم الاسلامية فى شتاء دهرهم وخمولهم ونومهم العميق ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيى جدهم بعد موتهم فاذا يفعلون ؟ تقرءون أمثال هذه السورة « سورة يس » فاذا يقابلهم فى أولها ؟ فأول ما يسمعون منها

قسما بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالنجم إذا هوى على أنه صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى . فهذه تقرع أسماع المسلمين اليوم فيقول حكماؤهم حقا إن النجم هو الذى يهدى الضالين السارين فى ظلمات الليالى الحائرين فى الصحارى والقفار لا يهتدون سبيلا ولا يجدون دليلا وهكذا سفن البحار تضل فى أمواجها وتصطدم فى شعابها فلا تجد لها واقيا يقيها ولا هاديا يهديها إلا بيت الإبرة فهى التى تعلم الميل وتهديهم إلى سواء الصراط فى لجج البحار فالنجم فى الصحراء هداية لسالك الجبال وهو فى البحر هدى للربان . وقوام الهداية تلك البوصلة التى تتجه بالمغناطيسية شمالا وجنوبا منحرفة انحرافا قليلا بقوانين لها علوم خاصة تعرف الربان الشرق والغرب والشمال والجنوب وهناك يدرس النجوم وأماكنها فيهدى بها فى ظلمات البحر فهذا هو النجم الذى أقسم الله به حين هوى على أن النبى صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى ،ولا ريب أن النجم إذا كان فى وسط السماء لا يهدى وانما هدايته إذا هوى ، والقرآن الحكيم فى « سورة يس » هنا يهدى كما يهدى النجم لذلك أقسم به على أنه من المرسلين على صراط مستقيم، لأن هدايته كهداية النجم وكما أن للنجم علوما تعرف أماكنه فى السماء وبوصلة تهدينا إلى طرقه هكذا هذا القرآن لا تتم الهداية به إلا بعلوم وعلوم . فهداية النجم تفتقر معها إلى علوم ،هكذا هداية القرآن لابد معها من علوم والعلوم التى فى هذه السورة وطرق الهداية فيها إلى الصراط المستقيم لا تعدو سنة سير الشمس فى اليوم وفى السنة وتقلم الدول فى أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب المثل بأصحاب القرية التى جاءها المرسلون وكان هؤلاء أنصار وأعداء وانتهى أمرهم أن غلب الحق الباطل . فهذا سبيل الأمم فى أول ظهورها تقرأ التاريخ وتعتبر به كالطفل يحبو ويدرس ما حوله والحيوانات خارجات من مخابئها منتشرات فى فصل الربيع وكالأمم العربية إذ برغت شمسها أيام النبوة ، وها هى ذه تعيد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم الغربية السابقة أيام النبوة وتدرس تاريخ الأمم التى حدثت بعد ذلك جيلا فجيلا وتستخرج خلاصتها وتقوم من نومتها وتستيقظ من رقدتها وتخرج من كهفها

ثم يقص الله جل شأنه علينا قصص أصحاب القرية ليقتص عليهم . كلا . والله ألم يقل - واضرب لهم مثلا - فهذا مجرد مثل والمثل به تكون الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين : لحياة الأمم شباب ثم قوة وتمام ثم انحطاط وضعف فهى فى أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها فأذا أدركت ذلك كله عرفت أنه لامناص لها من إدارة شئون هذه الأرض فهنالك تغرس الأشجار وتحفر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هو قول الله تعالى - « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا » وهنا أخذ يذكر الجنات والزروع والثمار والشمس والقمر والسفن فهنا فى هذه السورة - ثلاث درجات -

ا — درجة الاستيقاظ بدراسة الآثار البائدة والأمم الخامدة والأيام الخالية والبحث عن آثارهم فى أحجارهم وكتاباتهم فى قبورهم وأخبارهم فى تواريخهم وهنالك يسمعون « ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » بعد ما سمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فأذا هم خامدون فخمود الأمم أعقبها الحسرة عليهم فتواريخ الأمم للاعتبار بحوادثها وللاهتداء بعلومها .

فأذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فلننقل نحن ما أكثر الأمثال . هذه الأمم الأسلامية التى خلفت تلك الأمم البائدة فلما اعرضت وقعت مشجرة وذهبت كأمس الدابر . فهذه دولة العرب فى الشرق ذهبت ريحها وخر عليها السقف من فوقها إذ أبادها التتار وكذلك لما تخاذلوا فى بلاد الأندلس سلطت عليهم الجيوش الجرارة من أمم الفرنجة وهم غافلون فأخرجوهم من أوربا وهؤلاء أبناؤهم مشتتون فى طول الأرض وعرضها وسيجمع الله شملهم كما جمع شمل آبائهم بظهور الاسلام فى توبه القشيب مرة أخرى .

تخاذل المسلمون فى الأندلس وكانت لهم ٢٠ دولة وهم جاهلون عن حولهم وقد انغمسوا فى النعيم وذاقوا سوء المصير وها هى ذى قارة أستراليا دخلها الفاتحون فانقرض العنصر الأصلى فى البلاد إلا قليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الحمر المتوحشون هاهم أولاء أخذوا ينقرضون أمام المحتلين .

هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فأتبعناه . بأمثال تبيينا للقرآن وتذكيرا بالفرقان لان الله يقول — « لعلهم يتفكرون » فبمثل هذا يكون التفكير وبمثل هذا يكون التنبيه فهذه هى الدرجة الأولى درجة الاستيقاظ

ب — أما الدرجة الثانية فأنها آتية بعد عدة سنين فى الأمم الأسلامية وقد ظهرت بوادرها وفيها تمام أمرهم وإليها الأشارة بقوله — « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها — الخ

فهذه الدرجة أشبه بالتحلية بعد التخلية . فالأمم تتخلى أولا عن الجهالة وتتبعه الكسل وتعتبر بالأمم الخالية وبعقب هذا الدور دور العمل . إذن الأمم الأسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوة فنحن اليوم كآبائنا أيام الصحابة وأيام النبوة ابتدأنا حياة جديدة نراها آخذة فى النمو والاستيقاظ فى مصر والشام والعراق وفارس والهند وبلاد جاوه والملايو وهذه كتلك تماماً . فهاهم أولاء أخذوا يقرءون تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولا يحبس لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادها آباؤهم وكانوا نبراساً للامم كأيام الدولة العباسية .

جـ — أما الدرجة الثالثة فهى أيام الفناء والزوال وهى المذكورة فى هذه السورة من النفخ فى الصور وانقسام الناس فريقين فرق فى الجنة وفرق فى السعير .

ومن عجب أن الرحمة المذكورة فى آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فبينما نجد الاعتبار بالأمم فى أول السورة يعقبه قوله تعالى ـ « تنزيل العزيز الرحيم » إذا أنت ترى دخول الجنة مشمولا بها إذ يقال لهم ـ « سلام قولا من رب رحيم » ـ فالرحمة فى الاعتبار بالأمم البائدة المضروبة لنا أمثالا كالرحمة فى اقتطاف ثمرات الأعمال فى الجنان وشرب الرحيق المختوم ختامه مسك هناك ؛ فاذا قرأنا تاريخ البائدين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهى الدرجة الأولى .

وإذا غرسنا الأشجار وتعاهدنا الحقول وقطفنا الأزهار وجنينا الثمار فذلك من رحمانه وإذا دخلنا الجنان وشربنا شراب الحيوان من كأس كان مزاجها زنجبيلا فذلك من الرحمات . إذن الرحمة فى الاعتبار بالأمم وفى السعادة فى الحياة وفى سعادة الجنات واحدة ؛ لذلك ابتدأ السورة بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟

طنطاوى جوهرى

ذخائر الأدب العربى

قيل إن امرأة أبى الأسود خاصمته إلى زياد فى ولدها فقالت : أيها الأمير : إن هذا يريد أن يغلبنى على ولدى وقد كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له فناء فقال أبو الأسود : بهذا تريدين أن تغلبينى على ابنى فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه . فقالت إنك حملته خفيفا وحملته ثقيلا ووضعته شهوة ووضعته كرها . فقال لزياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه ؟

***

قال رجل لعمر بن الخطاب : إن فلانا رجل صدق . قال . سافرت معه ؟ قال . لا . قال . فكانت بينك وبينه خصومة ؟ قال . لا . قال فهل ائتمنته على شىء ؟ قال : لا . قال فأنت الذى لا علم لك به أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد ؟

احمد محمد نوار

ادريجة . كفر الشيخ

رجاء

نرجو أن يتفضل حضرات الكاتبين بأرسال ماسطره يراعهم قبل اليوم العاشر من كل شهر ، ليستطيع القائمون بأمر الصحيفة إعداد ماسيطبع من المقالات فى الوقت الملائم مع ملاحظة أن الرسائل لاترد لاصحابها نشرت أولم تنشر

التربية الأسلامية والتعليم الأسلامى

للأستاذ العلامة السيد رشيد رضا

كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان تلوكهما الألسنة والأقلام ويجولان فى جميع الأذهان ويتحدث بهما الرجال والنساء والولدان وقد أجمع الناس فى هذا الزمان على أنهما مصدر السعادة للبيوت (العائلات) والشعوب أفرادها وجملتهما ولو سألت كل فرد من أفراد هؤلاء الناس عن هذا الاجماع لأجاب إنه حق لاريب فيه ، وأنه من القضايا الضرورية التى لايتوقف الحكم بها على برهان ولا دليل

ثم إنك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن تفسير هاتين الكلمتين وتفسير كلمة السعادة وعن الرابط بينها وبينهما الذى كانا بها علة أو سببا ، وكانت هى معلولة ومسببا ، أو سألته عما هو معروف الآن لكل مطلع على أحوال البيوت (العائلات) فى بلده ، وأحوال الشعوب التى تشرحها جرائدها وتنشرها فى العالم ، وعن تطبيق تلك القاعدة الاجماعية عليها فى جملها أو فى تفصيل ماتشكو منه وتصفه من أنواع الشقاء فى مصالحها الأدبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بل لو سألته عن أفظع وقائع المظالم والخيانات والجنايات فيها — هل وقع بفعل أناس من الأميين ومن على مقربة منهم ممن لم يتح لهم إلا التعليم الابتدائى أو الثانوى — لأجابك كل واحد عن السؤال الأخير بأن كل ماذكرت من أنواع الجرائم الكبرى لم يقترفه إلا الناجون فى التعليم العالى وما يليه ، يجيبك عن هذا لأنه هو القطعى المعلوم بالمشاهدة المنقول بالتواتر ، ولكنه يعجز عن الجواب عما قبله من فائدة التربية والتعليم ، ومن معنى السعادة ، ومن الوسط الرابط بينهما ، لأن هذه كلها قضايا نظرية كان يقلد غيره فيها ويعد المسلمات من الضروريات .

معنى كل من هاتين الكلمتين يختلف باختلاف متعلقه والغرض منه وكونه على منهاج يؤدى إلى الغرض أو يقرطس فى الهدف

التربية تنشئة قوى الانسان الجسدية والعقلية والروحية بما تربو به وتنمو وتترعرع حتى تبلغ كمالها الشخصى فى محيط الملة والأمة له ، فمن أصولها ماهو مفيد لكل أفراد الناس لأنه لايختلف باختلاف الأقوام فى مقوماتها الملية ومشخصاتها الوطنية ، كتربية الأبدان المبنى على قواعد الصحة فى الغذاء والنظافة والرياضة ، ومنها مايختلف أختلافا واسع المساقة بعيد الشقة ، فما يعده بعض زعماء الأقوام والأمم مصلحة يعده غيرهم من أكبر المفاسد ، وتفصيل ذلك يطول وليس من موضوعنا الآن والتعليم تلقين العلم الذى يساعد التربية على

تكميل الانسان وهو كالتربية، منه مالابد منه لجميع الناس فى كل زمان ومكان ، ومنه مايختلف الحاجة إليه باختلاف الأطوار والأحوال ، وحاجة الأقوام والأوطان ، والأصل فيه أن يعلم النشء مايرشده إلى العمل الذى لابد له منه فى حياته الشخصية والمنزلية والوطنية الخ .

التعليم إفادة العلم ، والعلم بيان للعمل صفته وإتقانه . وأما الباعث للعامل على العمل بعلمه فهو ثمرة تربية النفس على مايوجهها إلى طلب منافعها ومصالحها الحسية والمعنوية ، أو المادية والأدبية — كما يقول كتاب عصرنا — أو إلى مافيه الخير لها فى المعاش والمعاد كما يقول علماء الدين ، فمنفعة التعلم رهينة بحسن التربية .

وهذه المباحث كلها طويلة الذيول ، مندفقة السيول ، وإنما أشرت تمهيداً للمسألة عن التربية الإسلامية والتعليم والأسلامي مامها وأين يوجدان فى هذا القطر ؟ أيوجدان فى بيوت المسلمين كافة ، أو بيوت بعض الطبقات منهم ؟ أيوجدان فى مدارس وزارة المعارف ومدارس الأوقاف الملكية ، ومدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، أو المدارس الحرة ؟ أيوجدان فى مدارس المعاهد الدينية الأزهر وملحقاته ؟

الذى أعلمه أنا لا يوجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا فى المعاهد الدينية تربية إسلامية مدونة أو متبعة بالعمل فى تنشئة أطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس والمعاهد على أخلاق الأسلام وآدابه وعباداته كالصدق والحرية والحياء والأمانة وعزة النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب البذاء والفحش فى القول الخ حتى يتمرع ويشب معتقداً أن المسلم بأسلامه أعز الناس نفسا وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة وأنه يجب بذلك أن يكون قدوة لهم فى كل فضيلة وعادة وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا ومقلدا لقوم آخرين فيما يعد تفضيلا لهم على قومه ، مع اعترافه لكل ذى حق بحقه وكل ذى فضل بفضله وبراءته من كل مافشا فى قومه من البدع والخرافات والعادات الضارة ، والسعى لازالتها عندما يكون أهلا لذلك ، ولكن يوجد فى بعض البيوت بقايا متبعة من ذلك .

وأما تربية المدارس فروحها تفرنج يقتل الأسلام قتلا بتفضيل كل ماهو أفرنجى على ماتخالفه من عقائد الأسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الأسلام وعنوانه ومغذية الإيمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها أحد ، كما أنها غير محرمة عليهم بحيث يمنع منها من أرادها فى غير وقت الدرس . وقد أجمع المسلمون سلفهم وخلفهم على أن من استحل ترك الصلاة يكون مرتدا عن الأسلام لايشارك المسلمين فى شىء من أحكامهم من أرث وزواج ولا يدفن

فى مقابرهم وإن كان متزوجا انفسخ عقد زواجه بل يجب على الحكومة الإسلامية استتابته فإن لم يتب قتل كفرا . وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن من غير مستحل فأهون ماقاله الفقهاء فيه أن يحبس حتى يتوب .

كذلك الصيام اختياري فى مدارس الحكومة المصرية وهو من أركان الإسلام من استحل تركه كفر .

وقد اتفق أن جيء لمدرسة البنات السنية على عهد مستر دانلوب المسيطر على وزارة المعارف بناظرة أنكليزية من تربين تربية حرة عالية . فلما كتبت تقريرها المعتاد فى آخر السنة المدرسية اقترحت فيه على الوزارة إلزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن يتعلمن عقائد الدين الإسلامى وأحكامه ويؤدين عباداته من صلاة وصيام ، وعللت ذلك بأن عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة ولا يصلح للتربية إلا الأم المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ولذلك أجمعت الأمم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية عملية « قالت » ..ولما كان فى هذه البلاد ثلاثة أديان كلها تأمر بعبادة الله وبالتحلى بالفضائل واجتناب الرذائل وهى الإسلام والنصرانية واليهودية ، ولما كان اختلاف التعليم الدينى مضرا بالتربية مخلا بوحدة الأمة ، وكان الإسلام هو دين الأكثرية الغالبة وجب جعله هو الدين الذى يبنى على أساسه نظام التعليم والتربية فى هذه المدرسة ، فأنا نقترح جعله رسميا إلزاميا فيها . »

أتدرى أيها القارىء مافعلت وزارة المعارف بهذا التقرير ؟ لعلك تعلم أن مستر دنلوب قد عزل هذه الناظرة عزلا ، وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا .

جميع المدارس تسير وراء وزارة المعارف فى تربيتها وتعليمها حتى مدارس الأوقاف الملكية ، وكذا مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التى كان غرضها الوحيد على عهد رئيسها الأستاذ الإمام ومديرها حسن باشا عاصم (تغمدهما الله برحمته) تربية أولاد الفقراء من المسلمين تربية إسلامية خالصة وتعليمهم مالابد منه لكل مسلم من عقائد دينه وأحكامه وآدابه مع مبادىء لغته وسائر مايلقن فى المدارس الابتدائية من حساب وغيره . وغاية ذلك كله أن يكون أولاد الطبقات الفقيرة من المسلمين كما يجب أن يكون المسلم فى أدبه وصدقه وأمانته وموضع الثقة فى عمله أيا كان .

وأما الثروة العامة لتربية البنات وتعليمهن فأنك ترى النساء بعينك فى الأسواق والشوارع والمحافل والمجامع ، والملاعب والمراقص والمراسح ؛ وفى الحمامات البحرية ، فقد بلغن من الخلاعة والرقاعة بل الإباحة دركا صار يستقذره الكتاب الإباحيون الذين دعوا إليه من قبل ؛ ألفت كتابا فى حقوق النساء فى الإسلام أثبت فيه أن الإسلام أكرمهن وأعطاهن من

الحقوق الدينية والمدنية والسياسية مالم يسبقه إلى مثله أو مايقرب منه دين من الأديان ، ولم يبلغ شأوه فيه قانون ولا نظام ، وسميته (نداء للجنس اللطيف الخ) فقرظته الصحف وصرحت بأنه لم يكتب مثله فى موضوعه ، فلم يبلغنى أن جمعية نسائية ولا امرأة مسلمة طلبت الاطلاع على هذا الكتاب .

بل أهديته إلى كاتبة أدبية مسلمة ينشر لها بعض الصحف رسالات كثيرة فى الآداب والعادات وغيرها ، فقرظته تقريظاً حسنا ، ورغبت المتعلمات فى قراءته بقولها ! أن مؤلفه يبذله لكل من تطلبه منهن بدون ثمن ، فلم يطلبه منهن أحد

وإذا كان هذا شأن من يتعلمن ويتربين فى المدارس التى تسمى إسلامية فما رأيك فيمن يتعلمن فى مدارس جمعيات التنصير وراهبات الكاثوليك ، إن هؤلاء يحتقرن الاسلام وكل من ينتمى إليه يحتقرن لغته أيضا ، روت طالبة سورية فى مدرسة أميركانية أن زميلتين لها من بنات باشوات مصر قالتا لها وقد كلمتهن باللغة العربية . كيف ترضين أن تتكلمى بهذه اللغة القذرة ! ! !

حسبى فقد طال على القول فى بعض الموضوع ولم يبق لى طاقة على إتمامه اليوم ولعلى أعود إلى إتمامه فى فرصة أخرى .

محمد رشيد رضا
منشىء المنار

الإمام على بن أبى طالب

قال معاوية لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى عليا . قال : اعفنى يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال : أما إذا لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لانكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته يعظم أهل الدين ويحب المساكين وأشهد لقد رأيته وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول : يادنيا إليك عنى ، غرى غيرى . أبى تعرضت أم إلى تشوقت ؟ هيهات هيهات ! قد باينتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك حقير وخطبك يسير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ! فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته وقال . رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال . حزن من ذبح واحدها فى حجرها

التربية الدينية وكيف تكون .

ليس من شك فى أن كل من زاول مهنة التعليم وعانى أمر التربية والتهذيب ، يعلم علم اليقين أن الطفل يحتاج دائما إلى من يساعده فى تقويم أخلاقه وتسديد خطواته ، وأن تركه للطبيعة تنشئه كيف تشاء لا يأتى بالنتيجة المرجوة من شرف الأخلاق وجمال الصفات ، ولذلك أجمعت آراء العقلاء على فائدة التربية وضرورتها . وهذا مايثبت أن طبيعة الانسان تحتاج إلى من يتعهد إصلاحها فى أدوار طفولته وحداثته وشبيبته .

ولما كان الآباء والمربون لا يستطيعون ملازمة الولد فى كل لحظة لنهيه عن السيئات ، وجب أن يكون له مرشد داخلى يحارب فيه الأميال الشريرة ، وينمى فيه الغرائز الشريفة ، ويحمله على القيام بواجباته ، مولداً فى قلبه حب الفضائل والنفور من الرذائل . وقد يظن كثير من الناس ألا داعى لضرورة التدين وتوجيه ذهن الطفل إليه بصفة خاصة اعتقاداً منهم بأن التربية الدينية مندمجة فى التربية الحسنة القائمة على قوائم الفضيلة بحيث أننا لو نهينا أولادنا عن الشر يكون ذلك كافيا لمنعهم من الوقوع فيه . ولكنى أقول بأن هذه التربية لا تكفى وحدها فى تقويم اعوجاج الولد وتربيته التربية الدينية الصحيحة لأسباب كثيرة ، أهمها أن العقول ليست فى مستوى واحد من حيث القوة على إدراك عظمة الفضيلة وجمال التحلى بها ، وليس سوى العقول الكبيرة التى تدرك فضل الأعمال الجليلة والصفات السامية أما ذوو العقول الضعيفة والأطفال ، فقلما تؤثر فيهم التربية الخالية من سلطان الدين الذى يجعل الصلاح من أول واجباتهم مهددا إياهم بالعقاب الصارم إن هم شذوا عن قواعده المستونة .

ومعلوم أن الطفل كالعجينة اللينة أو الغصن الرطيب ، فأذا لم نعن بتهذيبه وتقويمه وتنشئته على الفضائل منذ الصغر ، يبس على اعوجاجه ولم تفد التربية بعدئذ فى استئصال الشر منه ، ويكون الأمل فى نفعه بعد ذلك ضعيفا . والطفل كما قدمنا لا يستطيع بقصور عقله وضعف إرادته أن يدرك معنى الفضيلة إلا إذا استولى سلطان الدين على أفكاره واستحوذ على مشاعره ؛ فأذا كبر ورأى أن قيمة الفضيلة تزيد حينما يعتنقها المرء فى أى مكان وزمان ، فأنه يتبعها بلا شك ، وحينئذ لا تكون التربية الدينية التى اكتسبها فى الصغر قد أضرت به بل على العكس يكون الفضل راجعا إليها فيما ادخره من حسن المبادىء وصلاح النفس

ومهما كانت التربية حسنة فى ذاتها فأننا لا نستطيع أن نصل بها إلى درجة من الكمال تغنينا عن الاستعانة بالدين فى تهذيب أبنائنا ، ليس فى هذا العصر فقط حيث الجهل لا يزال

فاشيا ، والتربية غير معنى بها ، بل فى أرقى العصور وفى كل زمان من الأزمنة ، لأن التربية الصحيحة الكاملة فى رأى علمائنا المادين هى ماقامت على علم صحيح كامل ، والعلم لايمكن أن يتوزع فى يوم من الأيام على عموم الناس مهما بلغوا من المدنية مادامت الحياة الاجتماعية تتطلب لنفسها غير العالمين من الزارعين والعمال وأصحاب المهن البسيطة والحرف الدنية وغيرهم ممن لايحتاجون إلى علم واسع فى حياتهم العملية ، وهكذا تظل التربية عامة

أما الدين فأنه ينتشر بين الجهلة والأميين كما ينتشر بين المتأدبين والمتعلمين ، فيهذب نفوسهم جميعا ، بل إن تأثيره فى الفئة الأولى يكون أعظم ، بدليل مانراه من زيادة تقوى البسطاء . نعم إن هؤلاء يختلفون عن الطوائف الراقية المفكرة بأنهم يستسلمون لأحكام الدين استسلاما أعمى ، ولكن ماذا يضر ذلك بهم أو بسائر الناس مادامت النتيجة فى النهاية حسنة والغاية المطلوبة محققة ، وهى منع أضرارهم عن الآخرين وأمرهم بالمعروف والإحسان وهل ثمت من فائدة ترجى من التربية أفضل من هذه ؟ ذلك فضلا عما يشعر به المؤمن من لذة الإيمان وجمال الآمال فى الحياة الأخرى ، وتخفيف عبء الآلام فى الحياة الحاضرة .

ولنا فى تاريخ الأقدمين أكبر عظة حيث كانت الوثنية ضاربة أطنابها بين الأمم ، ناشرة جناحيها عليها ، فأن المدنية الراقية التى وصل إليها الرومان وغيرهم فى العصور السالفة لم تقدم أدبا وحلما ، ولا منعت الجور والحيف أن يقع عليهم فيجعل حياتهم موتا أدبيا !!

وبما قدمت تظهر فائدة التدين لمجموع الأمم وأنه يستحيل علينا بدونه أن نحيا حياة أدبية تميزنا عن الحيوان ، وعليه يجب أن تبذل الوسائل الفعالة فى تحبيب الناس فى الدين واجتذابهم إلى حظيرته ، باعتباره أصلا من أصول التربية ، ودعامة من دعاماتها التى تقوم عليها لافرعا من فروعها ، وذلك لايتم طبعا بالقوة ولا بالتهديد ولا بالوعيد ، وإنما يتم بتهذيب الأديان وتطهيرها من كل مالا يقبله العقل السليم من الترهات والسفاسف التى تشوه جمالها وتنقص من قدرها ، وتكون السبب الأكبر فى نفور الناس منها وازدرائهم لها ، وببث الأخلاق الفاضلة فى النفوس بطريق العبرة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة ، وبتكوين المعتقدات الصحيحة ، واستخدام الملاحظة الصادقة فى استنباط المعتقدات الدينية من مظاهر الطبيعة وبدائع المخلوقات ، واطلاع الناشئين على الأحكام الدينية والأمور التعبدية الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وحملهم على اتباعها واحترامها .. الخ

وفى اعتقادى أن هذه الطريقة وماشاكلها خير من التنبيه إلى اتباع الفضائل واجتناب الرذائل سردا وتلقينا لأنها أوقع فى النفس ، وأصقل للحس ، وأدعى إلى العمل وأقرب إلى مدارك الأطفال ؟

محمد ابراهيم عبد الله
رئيس مدرسة محلة روح الابتدائية